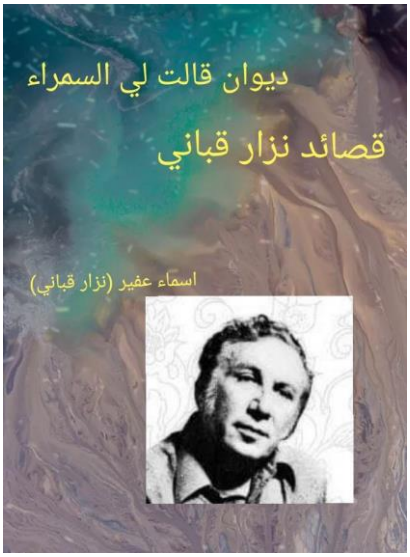

نزار قباني

نزار بن توفيق القباني (1342 - 1419 هـ / 1923 - 1998 م) دبلوماسي وشاعر سوري معاصر، ولد في 21 مارس 1923 من أسرة عربية دمشقية عريقة. إذ يعتبر جده أبو خليل القباني من رائدي المسرح العربي. درس الحقوق في الجامعة السورية وفور تخرجه منها عام 1945 انخرط في السلك الدبلوماسي متنقلًا بين عواصم مختلفة حتى قدّم استقالته عام 1966؛ أصدر أولى دواوينه عام 1944 بعنوان "قالت لي السمراء" وتابع عملية التأليف والنشر التي بلغت خلال نصف قرن 35 ديوانًا أبرزها "طفولة نهد" و"الرسم بالكلمات"، وقد أسس دار نشر لأعماله في بيروت باسم "منشورات نزار قباني" وكان لدمشق وبيروت حيّزٌ خاصٌ في أشعاره لعلّ أبرزهما "القصيدة الدمشقية" و"يا ست الدنيا يا بيروت". أحدثت حرب 1967 والتي أسماها العرب "النكسة" مفترقًا حاسمًا في تجربته الشعرية والأدبية، إذ أخرجته من نمطه التقليدي بوصفه "شاعر الحب والمرأة" لتدخله معترك السياسة، وقد أثارت قصيدته "هوامش على دفتر النكسة" عاصفة في الوطن العربي وصلت إلى حد منع أشعاره في وسائل الإعلام.—قال عنه الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة : (نزار كما عرفته في بيروت هو أكثر الشعراء تهذيبا ولطفًا)

على الصعيد الشخصي، عرف قبّاني مآسي عديدة في حياته، منها مقتل زوجته بلقيس خلال تفجيرٍ إنتحاري استهدف السفارة العراقية في بيروت حيث كانت تعمل، وصولًا إلى وفاة ابنه توفيق الذي رثاه في قصيدته "الأمير الخرافي توفيق قباني". عاش السنوات الأخيرة من حياته مقيمًا في لندن حيث مال أكثر نحو الشعر السياسي ومن أشهر قصائده الأخيرة "متى يعلنون وفاة العرب؟"، وقد وافته المنية في 30 أبريل 1998 ودفن في مسقط رأسه، دمشق.

ورقة الى القارىء

كميس الهوادج .. شرقية
ترش على الشمس حلو الحداد
كدندنة البدو .. فوق سرير
من الرمل ، ينشف فيه الندا
ومثل بكاء المآذن .. سرت
إلى الله ، أجرح صحو الندا
أعبيء جيبي نجوماً .. وأبني
على مقعد الشمس لي مقعداً
ويبكي الغروب على شرفتي
ويبكي لأمنحه موعداً..
شراعُ انا .. لا يطيق الوصول
ضياعُ أنا .. لا يريد الهدى
حروفي ، جموع السنونو ، تمد
على الصحو معطفها الأسودا
أنا الحرف .. أعصابه .. نبضه
تمزقه قبل أن يولدا..
أنا لبلادي .. لنجماتها
لغيماتها .. للشذا .. للندى
سفحت قوارير لوني نهوارً ..
على وطني الأخضر المفتدى
ونتفت في الجو ريشي صعوداً
ومن شرف الفكر أن يصعدا
تخيلت حتى جعلت العطور ترى
ويشم إهتزاز الصدى
بأعراقي الحمر .. امرأةُ
تسير معي في مطاوي الردا
تفح .. وتنفخ في أعظمي
فتجعل من رئتي موقدا ..
هو الجنس أحمل في جوهري
هيولاه من شاطيء المبتدا
بتركيب جسمي .. جوع يحن

لآحر .. جوع يمد اليدا
أتحسب أنك غيري ؟ ضللت
فإن لنا العنصر الأوحدا
جمالك مني .. فلولاي لم تك
شيئاًَ ... ولولاي لن توجدا
ولولاي ما انتفحت وردةُ
ولا فقع الثدي أو عربدا
صنعتك من أضلعي .. لا تكن
جحوداً لصنعي أو ملحدا
أضاعك قلبي .. ولما وجدتك
يوما بدربي .. وجدت الهدى
عزفت ولم أطلب النجم بيتاً
ولا كان حلمي أن أخلدا
إذا قيل عني ((أحس)) كفاني
ولا أطلب ((الشاعر الجيدا))
شعرت بشيء فكونت شيئاً
بعفوية ، دون ان أقصدا
فيا قارئي .. يا رفيق الطريق
أنا الشفتان .. وأنت الصدى
سألتك بالله كن ناعماً
إذا ما ضممت حروفي غداً
تذكر .. وأنت تمر عليها
عذاب الحروف .. لكي توجدا
سأرتاح .. لم يك معنى وجودي
فضولاً .. ولا كان عمري سدى
فما مات من في الزمان ..
أحب .. ولا مات من غردا

مدعورة الفستان

مذعورة الفستان .. لاتهربي
لي رأي فنان .. وعينا نبي
شارعنا أنكر تاريخه
والتف بالعقد .. وبالجورب
والتهم الخيط .. وما تحته
وأتعب الخصر ولم يتعب
واقتحم النهد .. وأسواره
ولم يعد من ذلك الكوكب
شارعنا يمشي على شوقه
يمشي على جرح هوى مرعب
يمشي بلا وعي ولا غاية
مثلك .. يا مبهمة المطلب
حركت بالإيقاع أحجاره
فاندفعت في عزة الموكب
فديت يا ساحبة خلقها

شيئاً من الليل .. من المغرب
أهذه أنت ؟ صباحي رضا
أعمارنا قبلك لم تكتب
تمهلي في السير ... هل رغبة
ظلت بصدر الدرب لم ترغب ؟
هل حجر إذا لحت لم يلتفت
لم ينسجم .. لم يبك .. لم يطرب
تسلسلي .. مفتاح رصد .. ثبي
فراشة بيضاء .. في ملعبي
مخضرة الخطوة .. لا تجفلي
هل نغضب الوردة .. كي تغضبي؟
مشى بك المقهى .. مشى حيُنا
خلف حفيف المئزر المطرب
نحن افتكار الجرح في نفسه
حلم طيور البحر بالمركب
أذرعنا .. اذرع اشواقنا
تهتف بالذهاب .. لا تذهب
نحن! دعى نحن .. أيا واحة
يحلم بيها كل مسترطب
مررت .. أم نوار مر هنا ؟
لولاك وجه الأرض لم يعشب
دوسي .. فمن خطوك قد زرر
الرصيف .. يا للموسم الطيب

مكابرة

تراني أحبك ؟ لا أعلم
سؤال يحيط به المبهم

وان كان حبي افتراضاً .. لماذا ؟
إذا لحت طاش برأسي الدم

وحار الجواب بحنجرتي
وجف النداء .. ومات الفم

وفر وراء ردائك قلبي
ليلثم منك الذي يلثم

تراني أحبك ؟ .. لا لا محال
أنا لا أحب ولا أغرم

وفي الليل .. تبكي الوسادة تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجم

وأسأل قلبي .. أتعرفها؟

فيضحك مني ولا أفهم

تراني أحبك ؟ .. لا لا محال
أنا لا أحب ولا أغرم

وإن كنت لست أحب .. تراه
لمن كل هذا الذي أنظم ؟

وتلك القصائد أشدو بها
أما خلقها امرأةُ تلهم ؟

تراني أحبك ؟ .. لا لا محال
أنا لا أحب ولا أغرم

إلى أن يضيق فؤادي بسري
ألح .. وأرجو ..وأستفهم

فيهمس لي .. أنت تعبدها
لماذا تكابر .. أو تكتم ؟

الموعد الاول

ويمنحني ثغرها موعداً
فيخضر في شفتيها الصدى
وأمضي إليها .. أنا شهقات القلوع
تغازل لون المدى
وأين القرار ؟ .. سبقت الزمان
سبقت المكان .. سبقت غدا
أخوض في الصبح .. ملء طريقي
أريجُ .. وملء قميصي ندى
يدي في ذراعك .. أين الضياع؟
تخافينه؟ .. نحن نهدي الهدى
أحبك .. فوق التصور .. فوق
المسافات .. فوق حكايا العدا
جرخت الأزاميل فيك .. حملت
إلى شعرك القمر الأسودا
وشجعت نهديك .. فاستكبرا
على الحب .. حتى لم يسجدا

اكتبي لي

إلي أكتبي ما شئت .. إني أحبه
وأتلوه شعراً .. ذلك الأدب الحلو
وتمتص أهدابي انحناءات ريشة
نسائية الرعشات .. ناعمة النجوى
عليا أقصصي أنباء نفسك .. وابعثي

بشكواك .. من مثلي .. يشاركك الشكوى ؟
لتفرحني تلك الوريقات خُبرت
كما تفرح الطفل الألاعيب والحلوى
وما كان ياتي الصبر .. لولا صحائفٌ
تسلم لي سراً .. فتلهمني السلوى
احن إلى الخط المليس .. ورقعةٍ
تطاير كالنجمات أحرفها النشوى
أحسك ما بين السطور .. ضحوكةٌ
تحدثني عيناك في رقةٍ قصوى
تغلغلت في بال الحروف مشاتلاً
وصتا حريريُ الصدى .. وداعاً .. حلوا
رسائلك الخضراء .. تحيا بمكتبي
مساكب وردٍ تنشر الخير والصحوا
زرعت جواريري شذاً وبراعماً
وأجريت في أخشابها الماء والسروا
إليا أكتبي .. إما وُجدت وحيدةً
تدغدك الأحلام في ذلك المأوى
ومرت على لين الوسادة صورتي
تخضبها دمعا .. وتغرقها شجوا
وما بك ترتابين ؟ .. هل من غضاضة
إذا كتبت أخت الهوى للتي تهوى؟
ثقي بالشذا .. يجري بشعرك أنهراً
رسائلك النعماء في أضلعي تُطوى
فلست أنا من يستغل صبيةً
ليجعلها في الناس .. أقصوصةً تُروى
فمازال عندي – برغم سوابقي-
بقيةُ الأخلاق .. وشيءٌ من التقوى

<u>امام قصرها</u>

متى تجيئين ؟ .. قولي
لموعد مستحيل
يعيش في الظن .. فوق
الوقوع .. فوق الحصول
وأنت .. لا شيء إلا
وعد ببال الحقول
وأنت خيط سراب
يموت قبل الوصول
ظل التصاميم تمشي
في جبهة الإزميل
أنا على الباب .. أرجو
انزياح سترٍ صقيل
يلهو الشتاء بشعري
ومعطفي المبلول
أشقى .. وأنت استليني

ريش الوساد النبيل
طيفٌ تثلج .. خلفَ
الزجاج .. هيا افتحي لي
من أنت ؟ وارتاع نهد
طفل كثير الفضول
من أنت ؟ أرجعت حتى
تفتا إلى القميص الكسول
أوجعت أكداس لوز
فديت من مجهول ..
أنا بقايا البقايا
من عهد جر الذيول
أهواك مذ كنت صغرى
كصفحة الانجيل
ومن زمانٍ .. زمانٍ
ومن طويلٍ .. طويلٍ
وكنت أغمس وجهي
في شعرك المجدولِ
في شكل وجهك أقرأ
شكل الإلهِ الجميل ..
متى ؟ وُرت صلاتي
مع انهمارالدولِ

اندفاع

أريدك
أعرف أني أريد المحال
وأنك فوق إدعاء الخيال
وفوق الحيازةِ .. فوق النوال
وأطيب ما في الطيوب
وأجمل ما في الجمال

****

أريدك
أعرف أنك لا شيءٍ غير إحتمال
وغيرُ افتراضِ
وغير سؤالٍ .. ينادي سؤال
ووعدٍ ببال العناقيدِ
بالِ الدوال

****

أريدك
أعرف أن النجوم
أروم

ودون هوان تقوم
تخوم
طوالٌ .. طوال
كلونِ المحال
كرجع المواويل بين الجبال
ولكن
على الرغم مما هو
وأسطورة الجاه والمستوى
أجوبُ عليك الذرى والتل
وأفتح عنك
عيون الكُوى
وأمشي ..
لعلي ذاتَ زوال
أراكِ .. على شقرة الملتوى
ويوم تلوحين لي
على لوحة المغرب المخملى
تباشير شال ..
يجر نجوماً ..
يجر كروماً ..
يجر غلال
سأعرف أنك أصبحت لي
وأني لمست حدود المحال

انا محرومة

لا أُمُهُ لانت .. ولا أمي
وحبه ينام في عظمي
إن خبئت أمي بصندوقها
شالي .. فلي شالٌ من الغيم
أو أوصدوا الشُباك كي لا أرى
فَتحت شباكاً من الوهمِ
ما أشفق الناس على حبنا
وأشفقت مسانِدُ الكرمِ
أحب عطر الجُرحَ من أجله
فهل تراهم عطروا همي ؟
أما بدرنا الرصدَ والمَيجنا
هناك في جنينة النجمِ ..
قوافل الأقمار من رسمه
وما تبقى كله رسمي ..
وقَبلنا لا شالَ شالٌ .. ولا
أدرك خصرٌ نعمةُ الضمِ
من فضلنا .. من بعض أفضالنا
أننا اخترعنا عالم الحُلمِ

في المقهى

بجواري اتخذت مقعدها
كوعاء الورد في اطمئنانها
وكتاب ضارع في يدها
يحصد الفضلة من إيمانها
يثب الفنجان من لهفته
في يدي ، شوقا إلى فنجانها
آه من قبعة الشمس التي
يلهث الصيف على خيطانها
جولة الضوء على ركبتها
زلزلت روحي من أركانها
هي من فنجانها شاربة
وأنا أشرب من أجفانها
قصة العينين .. تستعبدني
من رأى الأنجم في طوفانها
كلما حدقت فيها ضحكت
وتعرى الثلج في أسنانها
شاركيني قهوة الصبح .. ولا
تدفني نفسك في أشجانها
إنني جارك يا سيدتي
والربى تسأل عن جيرانها
من أنا .. خلي السؤالات أنا
لوحة تبحث عن ألوانها
موعدا .. سيدتي! وابتسمت
وأشارت لي إلى عنوانها..
وتطلعت فلم ألمح سوى
طبعة الحمرة في فنجانها

اسمها

إسمُها في فمي .. بكاءُ النوافير
رحيلُ الشذا .. حقولُ الشقيقِ
حزمةٌ من توجع الرصدِ .. رفٌ
من سنونو يهم بالتحليق
كنهور الفيروز يهدر في روحي
وينساب في شعوري العميق
كلُهاث الكروم .. كالنشوةِ الشقراء
غامت على فمِ الإبريق
كمرور الطيور مبتلة الريش
على كل منحنى ومضيقِ ..
كحريرِ النهد المُهزهِز .. فيه
علق الله قطرةً من عقيقِ
كقطيع من المواويل .. حطت
في ذُرى موطني الأنيق الأنيق
إسمُها .. ركضةُ النبيذ بأعصابي

وزحف النسور طي عروقي
شفتى .. كالمزارع الخضر .. إن مر
كنيسان .. كالربيع الوريق
أحرفٌ خمسةٌ كأوتار عودٍ
كترانيم معبدٍ إغريقي ..
أحرفٌ خمسةٌ .. أشفُ من الضوءِ
وأشهى من نكهةِ التطويقِ
اسمُك الحلو .. أي دنيا تناغيني
وتهدي إلى النبوغ طريقي !!

غرفتها

في الحجرة الزرقاء .. أحيا أنا
بعدك ، يا أخت ، أصلي الرياش
وأمسح المهد الذي لفنا
وفيه برعمنا الحرير افتراش
ليلات ذرذرنا تشاويقنا
فساح بالأطياب منا الفراش
وثديك الفلي .. كوم سنا
يغمى على البياض منه القماش
شقراء .. لا أعدمها لثغةً
يعيا بها ثغرك عند النقاش
شقراء .. هل أحيا على صورة
ومن على الألوان والظل عاش ؟
منديلك الخمري .. أحيا به
ففيه من طيبك بعض الرشاش
وها هنا رسالة .. نثرك الغالي .. بها
أخفيه عن كل واش
أعز ما خلفت لي خصلةٌ
حبيبةٌ تهتز فوق الفراش
تظل .. إما جئت ألثمها
تهفو إلى منبتها في ارتعاش
شقراء .. يا فرحة عشرينا
ونكهة الزقُ .. وهزج الفراش
شقراء .. يا يوما على المنحنى
طاش به ثغري .. وثغرك طاش
نمشي فيندي العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراش
ونشرب الليل صدى ميجنا
وصوت فلاح .. وعود مواش
قولي .. ألا يغريك لون الدنا
لعود .. فالطير أتت للعشاش

زينة العينين

زيتية العينين .. لا تغلقي
يسلم هذا الشفق الفستقي

رحلتنا في نصف فيروزة
أغرقت الدنيا ولم تغرق ..

في أبد . يبدأ ولا ينتهي
في ألف دنيا , بعد , لم تخلق

في جزر تبحث عن نفسها
ومطلق يولد من مطلق

وتنتهي الدنيا ولا ينتهي
تشردي في غابة الفستق

*

قميصك الأخضر .. من يا ترى
باعك هذا اللون .. قولي . اصدقي

أمن ضفاف (السين) خياطه
واللون من دانوبه الأزرق

أم من صغير العشب لملمتيه
في سلة بيضاء من زنبق

بحيرة خضراء في شطها
نامت صبايا النور .. لم تتقي

كأنما عينك وسط الضيا
صفصافة تحت الضحى الزنبقي

عريشة كسلى على سفحها
عنقودها بالشمس لم يحرق

*

شباكي الصغير .. يفضي إلى
فسقية .. يفضي إلى المشرق

إلى نوافير رمادية
تبكي بصوت أزرق .. أزرق

يفضي إلى لا حيث .. شباكنا

يفضي إلا لا منتهى شيق

من ألف عام وأنا مبحر
ولم أصل .. ولم يصل زورقي

أمضي على زمرد دافىء
يرهقني .. فديت يا مرهقي

وشوشة المياه مسموعة
من خلف خلف الهدب المطرق

قطرات فيروز على جبهتي
منك , على شعري .. على مفرقي

يا مطر العينين .. لا تنقطع
أنا حنين الطيب للدَوْرَقِ

لا تنقطع ثانيةً .. إنني
جوع الربى للأخضر المورق

يا مرفأ الفيروز .. يا متعباً
سفينتي . لابد أن نلتقي

حبيبة شتاء

.. وكان الوعد أن تأتي شتاء
لقد رحل الشتا .. ومضى الربيعُ

وأقفرت الدروبُ , فلا حكايا
تطرزها , ولا ثوبٌ بديعُ .

ولا شالٌ يشيلُ على ذرانا
ولا خبزٌ .. ولا خبزٌ يشيعُ

وهاجرَ كل عصفور صديق
وماتَ الطيبُ , وارتمت الجذوعُ

حبيبةُ .. قد تقضى العامُ عنا
ولم يسعد بك الكوخُ الوديعُ

ففي بابي يُرى أيلولُ يبكي
وفوق زجاج نافذتي دُمُوعُ

ويسعل صدرُ موقدتي لهيباً
فيسخنُ في شراييني النجيع

تلتفتُ الستائرُ في حنينٍ
وتذهل لوحةٌ .. ويجوعُ جوعُ

* * *

أحبكِ .. في مراهقة الدوالي
وفيما يضمر الكرمُ الرضيعُ

وفي تشرينَ , في الحطبِ المغني
وفي الأوتار عذبها الهجوعُ

وفي كرم الغمائم في بلادي
وفي النجمات في وطني تضيعُ

أحبكِ .. مقلةً وصفاء عين
إليها قبلُ .. ما اهتدت القلوعُ

أحبكِ .. لا يحد هواي حد
ولا ادعت الضمائر والضلوع

أشم فيكِ رائحةَ المراعي
ويلهث في ضفائركِ القطيعُ ..

أقبلُ إذْ أقبله حقولاً
ويلثمني على شفتي الربيعُ

أنا كالحقل منكِ .. فكل عضوٍ
بجسمي , من هواك , شداً يضوعُ

* * *

جهنمي الصغيرةَ .. لا تخافي
فهل يطفي جهنم .. مستطيع ؟

فلا تخشي الشتاءَ ولا قواهُ
ففي شفتيكِ يحترقُ الصقيعُ